بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

بمناسبة الحج أريد أن أتحدث[1] بحديث مختصر عما يرتبط بالحُجّاج وأرجو أن يكون نافعا للجميع

في رواية عن الإمام علي بن الحسين (ع): (يا معشر من لم يحج استبشروا بالحاج – يعني بالحجاج – وصافحوهم وعظموهم فإن ذلك يجب عليكم تشاركوهم في الأجر)[2]، وكذلك عن الإمام الباقر (ع): (وَقِّروا الحاج والمعتمرين فإن ذلك واجب عليكم)[3]

في السابق كنا نركّز جدا على الحُجّاج وكنا نرحب بهم ونسارع إليهم ونُبدي الاستبشار بهم وكنا نعلّق هذا النوع من الروايات في هذا المسجد ترحيبا بالحجاج، والحجاج كانوا يأنسون بذلك ويرتاحون وهذا شيء طبيعي، ولكن مع مروري بتجارب – أنا دائما أراقب وضعي وأحاسب نفسي – حينما كنت أجد أنه لا يوجد هنالك مردود لهذا العمل بعد أن علمت أن الله حينما يأمرنا بشيء فهذا الشيء لابد أن يكون له مردود في هذه الدنيا بشكل أو آخر وينعكس هذا المردود في الآخرة بشكل ثواب ودرجات، ولكن لم يكن هنالك مردود فتدبرت المسألة وتعقّلتها، كنت أجد أن هذا الحاجّ الذي أرحّب به وأبدي بذهابه للحج التفاؤل وأتفاعل مع رجوعه، هذا الحاج غاية ما يحصل أنه في المواقف – مثلا موقف عرفة – يدعو لنفسه، فهو عايش شخصه، أو يدعو لي كشخص، فلا يُرجى من هذا الحاج أن يكون ذا هدف أكبر من شخصه ويعيش همّا أكبر منه فنتشارك في الهم والهدف

مثلا: حينما تخلّى عن ثيابه العادية ولبس ملابس الإحرام يفترض أنه يعرف ويعلم أن الناس بملابسهم وبمظاهرهم وبزينتهم يفتتنون الآخرين حتى إذا لم يقصدوا ذلك، يؤثّرون على الآخرين ويلفتون أنظارهم إلى أنفسهم ويفتنون أنفسهم، فالشخص الذي يتزيّن لا لأنَّ هذه الزينة مفروضة عليه اجتماعيا والعُرف فرض عليه هذه الزينة بل رغبة في زينة الحياة يزيّن نفسه ويُظهِر الزينة ويتباهى بالزينة، هذا الشخص متخلي عن شخصيته ويُكبِّر الزينة بأعين الناس عبر مركبه وعبر بيته وعبر ماله وعبر ثيابه، حتى لو قيل لهذا الشخص بأنه

---

[1] تحدث السيد محمد علي الباقري حفظه الله بهذا الحديث في يوم الجمعة بتاريخ ١٥ ذي الحجة ١٤٢٤، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء، وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

[2] الكافي (٤/٢٦٤)

[3] من لا يحضره الفقيه (٢/٢٢٨)

يكبر هذه الأشياء يرفض ذلك، لأن الإنسان بفطرته يريد أن يكون هو القَيِّم على الأشياء فيكون أكبر منها، لكنه في الواقع هو هكذا فيفتتن نفسه ويفتتن غيره (إِنَّما أَمْوالُكُم وَأَوْلادُكُم فِتْنَة)[٤]، ويتنازل عن شخصيته، الناس ينظرون إليه بإعجاب فهو يشعر باعتزاز لنظرة الناس

بينما الدين يدعو أن يكون التأثير باتجاه الله وحده، وأن لا أحدا يلفت نظر أحد إلاّ إلى ربه، كذلك كان رسول الله (ص)، في رواية (استقبل رسول الله (ص) رجل من بني فهد وهو يضرب عبدا له، والعبد يقول: أعوذ بالله، فلم يقلع الرجل عنه، فلما أبصر العبد برسول الله قال: أعوذ بمحمد فأقلع عنه الضرب، فقال رسول الله (ص): يتعوذ بالله فلا تعيذه؟ ويتعوذ بمحمد فتعيذه؟)[٥]، كذلك كانوا، في عهد رسول الله (ص)، كانوا يجاهدون يبذلون دماءهم وأعز ما يملكون

نحن مُقبلون على شهر محرم الذي بذلت فيه أزكى الدماء ليُكّبَّر الله، ليكون الله أكبر، لأن تكون الصلوات حقيقةً لله، أُكَبِّر الله وحده، الله هو أكبر لا الدنيا لا المال لا الزينة لا أصحاب الجاه، لا فتنة، يُفترض أن الحاج يرغب في هذه الحالة، وأنه فكّر وتعقّل أنَّ عهد رسول الله (ص) كيف كان؟ وأنه (ص) ماذا كان يريد؟ هكذا حال المؤمن، مؤمن يعني أمَّنَ نفسه[٦] وأمَّنَ المؤمنين وأمَّنَ النبي (ص) كذلك، بذلك يتباهى النبي (ص) بالمؤمن، ينصرني يُؤمِّنُ ديني قائم له، هذا المؤمن يرغب في أن يكون الوضع كما كان في عهده (ص)، وفي الحج حينما يتخلى عن أية زينة وعن المظاهر ويلبّي: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك) فالمؤمن ذو هَمٍّ يُحب ويسعى ليكون المجتمع كذلك، ليكون الدين كله لله ولا يتخذ أحدٌ أحداً رباً من دون الله، يعني لا تذِلَّ هذه النفوس إلا لله وحده، يسعىٰ إلى هذا الهدف

فهنالك في الحج مارس هذه الرغبة، ووقف في موقف عرفة بهذه الهِمَّة وهذا الهَمّ تبلور فيه وترسخ، دعا ربه عِبْرَ هذا الهمّ، إلهي أنا أريد أن أساهم في عالم لا يكون الدين فيه إلا لك وحدك لا شريك لك أنا أساهم في هذا، فهذا حجه جهاد والحج جهاد الضعفاء كما في رواية أن شخصا (قال سمعتُ أبا عبد اللَّه (ع) يَذْكُرُ الْحَجَّ فقال: قال رسول اللَّه (ص) هو أحد الجهادين هو جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء)[٧]

---

[٤] (التغابن: ١٥)

[٥] بحار الأنوار (١٤٣/٧١) نقلا عن النوادر

[٦] بيّن السيد حفظه الله هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت١**) فصل (**معنى الإيمان**)

[٧] علل الشرائع (٤٥٧/٢)

أنا لو كنت أستهدف نفس هدف هذا الحاج وأرغب في نفس المسار وأعرف نفس الطريق الذي يعرفه ويتعامل معه وأحمل نفس همِّه فبطبيعة الحال بمجرد أن يتوجه هو إلى الحج أنا أستبشر به لأنه يحقق رغبتي وينصر ديني ينصر نبيي وينصر إمامي، فهذا الآن حينما وفّقه الله للحج ووقف في تلك المواقف الشريفة فحينما يرجع هو يشفعنا ويساهم في تحقيق هدفنا، لا أنه فقط يشفعني كشخص بل يشفعني في تحقيق هدفي وهمي لأن همومنا مشتركة[٨] فنحن أصبحنا إخوة مؤمنين متناصرين متعاونين (الله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه)[٩]

فإذن إذا كنت تتكلّف الاستبشار بالحاج فقط طلبا للثواب وكعمل مبتور من دون أن تهتم بأساس المسألة، أيُّ استبشار؟ شخص ذهب للحج – حتى إذا كان مُخلصا – واستغفر لنفسه ولأُناس طلبوا منه الاستغفار فقط، لا هَمٌّ ولا هدف، فقط عايش شخصه فإذا مسَّه أحد يثور عليه، ولكن لا يهتم بالإمامة الولاية – لا كأسماء – بل واقع الولاية، فلا يهتم بمسألة إمامة الأئمة (ع) أو ولايتهم أو معرفة طريقتهم، وأي أحد حينما ينظر إليه يجد فيه اللامبالاة تجاه هذه المسائل، هذا الشخص يرجع من الحج لا النبي (ص) يستبشر به ولا الإمام (ع) يستبشر به ولا المؤمنون يستبشرون به

أنا متى أستبشر؟ الاستبشار هو الإحساس بالسرور وبالفرج، أعاني من همّ ديني فأجد أن الحاج ينصرني يفرج عني هذا الهم، إذن أجد فيه فرجا، وكنت قد وجدت فيه هذا الفرج قبل أن يذهب للحج وكان قلبي معه وكنت أتطلع إليه، هنا هذا واجب (فإن ذلك يجب عليكم) كما في الرواية، لا واجب فقهي أفعله تكلفا، نحن هكذا كنا نفعل بعد أيام الحج كنت أرى بعض الأشخاص ظاهر عليهم الحج فكنت أرحب بهم لكن هذا الترحيب فقط كان يؤنسهم كانوا يتلقون هذا الترحيب كترحيب شخصي خادع، ونحن كذلك كنا نفعل، كنا نرحب بهم كأفراد حجّوا فقط

لكن بعد أن وجدنا أن الحج لا يكون حجّا من دون الولاية[١٠] من دون هَمّ من دون نصرة الأئمة (ع)، في رواية حينما ينظر الإمام إلى الحجيج يقول: (هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية، إنما أمروا أن يطوفوا بها ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم ومودتهم ويَعْرِضُوا علينا نُصرتهم...)[١١]، هل أنا مستعد لنصرتهم (ع)؟ وحالتي

---

[٨] أشار السيد حفظه الله إلى هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت٤**) فصل (**ما يجمع الناس ويفرقهم**)

[٩] الكافي (٢/٢٠٠)

[١٠] في كتاب (**الحج في مراحله الأربع**) أشار السيد حفظه الله ارتباط الولاية والحج تحت عنوان (**وكلمة لابد منها**)

[١١] الكافي (١/٣٩٢)

أني معكم معكم أعددت نفسي لنصرتكم، وأحمل همّكم وأدفع في اتجاهكم، عرفتُ هدفكم وأسعى لإحيائه ونصرته، والآن قائم بأمركم ناصر لكم، فهنا تستطيع أن تناجي وتخاطب الإمام القائم (ع) أني أعرفكم وأعددت نفسي لنصرتكم

كم يوجد من مثل هذا النوع من الحجاج – أو غير الحجاج – يحسّون بمعاناة رسول الله (ص) الشديدة؟ (ما أوذي نبي مثل ما أوذيت)[١٢] لِيُخرِجَ أمّةً مؤمنون مترابطون، همّهم واحد ويشتركون في أمر واحد، في يوم عاشوراء حبيب بن مظاهر يأتي لمسلم بن عوسجة وهو يحتضر فيقول: (لولا أنني أعلم أني في الأثر لأحببت أن توصي إلي بكل ما أهمك. فقال له مسلم: فإني أوصيك بهذا –وأشار بيده إلى الحسين– فقاتل دونه حتى تموت)[١٣]، حتى في تلك الحالة حينما يتنفس والجروح تنفجر دما، هذه هي النصرة

أما شخص حج لنفسه، عايش لنفسه، من دون أن يشعر به أحد إلا أولاده حتى صلاته صلاة شخصية، لا أحد يرجو منه الشفاعة، لا أثر له وحتى إذا يؤثّر على البعض يجعلهم فقط يصلون مثله، أمَّا أنهم يُصَلّون كصلاة أصحاب أمير المؤمنين (ع) وأصحاب الإمام الحسين (ع) ويستهدفون هدفهم أبدا لم يخطر بباله، فهذا الحاج ماذا يُتوقع منه؟ ولماذا يُستبشر به؟

فالرواية (يا معشر من لم يَحِجْ استبشروا بالحاج) ليست بمعزل عن ولاية الأئمة (ع)، الأئمة لم يكونوا يخطبون خطابا عاما بل كانوا يخاطبون المؤمنين المتمسكين بهم (يا معشر من لم يحج استبشروا بالحاج...) يعني الحاج المؤمن الذي يحمل همكم، أخوكم (...وصافحوهم وعظموهم فإن ذلك يجب عليكم)، الإيمان لا يكون إلا كذلك، أنا إذا لا أستبشر بالحاج الذي يحمل همّ دين رسول الله، أنا والعياذ بالله لست مؤمنا، (...وتشاركوهم في الأجر) المسألة هنا مسألة مشتركة.. لأن حجه رسّخ فيه الإيمان، فهذا انصَبَّ في حسابك أنت لأنك أنت تستهدف نفس الشيء

أخذت في هذا الحديث وقتك العزيز (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه...)[١٤]، وأرجو أن يعوض الله لك رأس مالك الذي صرفته في الإصغاء إليَّ، والحمد لله رب العالمين

---

[١٢] بحار الأنوار (٥٦/٣٩) نقلا عن مناقب آل أبي طالب

[١٣] الملهوف على قتلى الطفوف (١٦٢/١)

[١٤] الخصال (٢٥٣)